أثر الترجمة في أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم
(اللغة الانكليزية أنموذجاً)

د. هناء محمود شهاب
قسم اللغة العربية / كلية التربية
جامعة الموصل

القبول	الاستلام
٢٠٠٩/ ١٠ / ٠٦	٢٠٠٩/ ٠٦ / ٢٩

ملخص البحث

قابل البحث بين ما تحمله الآيات القرآنية في نظمها من دلالات ونتاجات فكرية ونفسية وشعورية حملتها ظاهرة أسلوبية وهي التقديم والتأخير وبين ترجمة معنى تلك الآيات إلى اللغة الهدف (الانكليزية مثلاً) وما رافق تلك الترجمة بأدوات تلك اللغة وبأسلوبها وصياغتها من هدم لتلك المعاني والدلالات، لأنها لم تلتزم بهذا الإجراء الأسلوبي وبذلك يكون النص المترجم للقرآن الكريم انعكاساً للمعنى العام للآية فقط، أما الأسرار الجمالية والطاقة الدلالية الواقفة وراء هذا الأسلوب فلا نجد لها أثراً في النص المترجم.

ABSTRACT

The research has compared between what the Quranic verse order has implied regarding the psycho, mental and the sentimental denotations and outputs expressed by the stylistic phenomenon such as precedence & non precedence and the translation of the meanings those verses into the target language (English for instance) as well as the loss of meaning and denotation resulted from translation by using the tools of that language such as the style and formation.

As the translation hasn't abide by this stylistic requirement, therefore the translated text of the holly Quran was only a reflection of the general meaning of the verse; whereas no trace of the hidden aesthetic and energy of significance standing behind this style can be found in there.

التمهيد

أسلوب التقديم والتأخير:

يعد التقديم والتأخير متغيراً أسلوبياً في اللغة لأنه عدول عن القاعدة العامة وذلك بتحويل الألفاظ عن مواقعها الأصلية لغرض يتطلبه المقام، اذ يكون هذا العدول بمثابة منبه فني يعمد إليه المبدع ليخلق صورة فنية متميزة(١) وهو "انزياح سياقي يصبح معلماً متميزاً للشعرية"(٢) فالتقديم "هو تبادل في المواقع، تترك الكلمة مكانها في المقدمة لتحل محلها كلمة أخرى لتؤدي غرضاً بلاغياً ما كانت لتؤديه لو أنها بقيت في مكانها الذي حكمت به قاعدة الانضباط اللغوي"(٣).

وإذا كانت البلاغة مبنية على ترتيب الألفاظ وجمال موقعها في السياق فإن أسلوب التقديم والتأخير له المساحة الأكبر في هذه البلاغية ليصل منشئ الكلام إلى أقصى حد من التأثير في المتلقي. ولأهمية هذا المتغير الأسلوبي فقد عني به علماء اللغة منذ عصر مبكر فهذا سيبويه (ت ١٨٠هـ) يقول "كأنهم كانوا يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى وان كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم"(٤) وسماه ابن جني (ت ٣٩٢هـ) مع أبواب أخرى بـ (باب شجاعة العربية)(5) لما يولده من معان بلاغية.

وقد حظي هذا الإجراء الأسلوبي عند شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) بدراسة متميزة، إذ نبه إلى مكانته في البلاغة وعزا الفضل لجمال الكلام وحسن تأثيره في المتلقي إلى جمال نظمه إذ يقول: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتّر لك عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب ان راقك ولطف عندك ان قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان"(٦).

لقد أدرك الجرجاني بذائقته البلاغية المتميزة العلاقة القوية بين كل شكل منحرف عن المعيار وبين ناتجه الدلالي كاشفاً عن القيمة الجمالية والطاقة التعبيرية التي تتأتى من إدراك كيفية صياغة الكلام. ومن هنا فقد يكون الكلام واحداً في مادته وحروفه ولكن قد تختلف صيغته وترتيب كلماته من متكلم لآخر بل عند المتكلم الواحد، اذا اختلف المعنى في نفسه.

---

(1) ينظر: البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب: ٢٠٠ .

(2) بنية اللغة الشعرية، جون كوهين، ترجمة محمد الولى، محمد العمري: ١٨.

(3) بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منير سلطان: ١٣٨ .

(4) الكتاب: ١/١٤-١٥.

(5) ينظر: الخصائص: ٢/٣٦٠.

(6) دلائل الاعجاز: ٨٣ .

وعد ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) التقديم والتأخير بأنه باب "طويل عريض يشتمل على أسرار دقيقة"[١].

وتابع الزملكاني (ت ٦٥١هـ) الجرجاني في عد سبب التقديم والتأخير في الكلام تبعاً لمعناه في القلب فقال: "التقدم في اللسان تبع للتقديم في الجنان"[٢] فإحداث تغيير في بنية التركيب يأتي لتحقيق غرض جديد، يتعلق بالبنية الداخلية المرتبطة بالمعنى في ذهن المتكلم فأي تحول في مباني التراكيب يحدث تغييراً في المعنى[٣]، حسب مقتضيات الظروف والمواقف والدوافع النفسية والشعورية لطرفي عملية الاتصال، المبدع والمتلقي.

وتكلم البلاغيون المعاصرون على بنية التقديم والتأخير ولكن بصياغة جديدة لا تختلف عما ذكره العلماء الأقدمون، فالتقديم والتأخير عندهم ينحصر في حدود الدال صياغةً، اذ ينتقل فيها الدال من موضعه الأصلي إلى وضع طارئ في حركة أفقية مرتبطة مع حركة الفكر من ناحية وطبيعة المقام من ناحية أخرى[٤].

وهذا التبادل في المواقع ينقل التعبير من مستوى إلى مستوى آخر قائم على تجاوز المحفوظ اللغوي بالنسبة لموقع الدال داخل التركيب، وتعود بلاغية التقديم والتأخير على اعتبارات يعود بعضها إلى المبدع وحركته الذهنية ويعود بعضها إلى المتلقي واحتياجاته الدلالية ويخاص بعضها الثالث للصياغة ذاتها، على معنى انه من طبيعتها المثالية[5].

فالتقديم كما أطلق عليه د. خليل احمد عمايرة هو نقل مورفيم من موقع أصل له إلى موقع جديد مغيراً بذلك نمط الجملة، وناقلاً معناها إلى معنى جديد تربطه بالمعنى الأول رابطة واضحة هي عنصر من عناصر التحويل، بل هي من ابرز عناصر التحويل وأكثرها وضوحاً، لأن المتكلم يعمد إلى مورفيم حقه التأخير فيقدمه أو إلى ما حقه التقديم فيؤخره طلباً لإظهار وترتيب المعاني في النفس[٦].

اما عند علماء الغرب فيعرف التقديم والتأخير لديهم بـ Hysteron Proteron وهو يدخل عندهم ضمن ما يسمى بمنهج التحويل Transformation في التراكيب النحوية.

وقد اقترح جومسكي في نظريته النحوية إضافة القواعد التحويلية من تقديم وتأخير وحذف وزيادة إلى الوصف البنيوي للتركيب النحوي، بعد ان وجد ان الاقتصار على المنهج

---

[1] المثل السائر: ١٧٥/١ .

[2] البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن: ٢٩٠.

[3] ينظر في نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبيق، د. خليل احمد عمايرة: ٨٩-١٨٧.

[4] ينظر البلاغة العربية / قراءة أخرى، محمد عبد المطلب: ٢٣٥-٢٣٨.

[5] م.ن.

[6] ينظر: في نحو اللغة وتراكيبها، ٨٨-٩٣.

الشكلي لا يكفي للإحاطة بوصف النظام اللغوي عند المتكلم باللغة(١)، وقد وصف قواعد اللغة بأنها جهاز أو وسيلة لتوليد الجمل الصحيحة في لغة معينة تهتدي بالقواعد النحوية(٢)، وميز جومسكي بين مستويين من مستويات التركيب النحوي هما: مستوى البنية السطحية Surface Structure ومستوى البنية العميقة Deep Structure فالشكل هو البنية السطحية، اما الدلالة فتمثله البنية العميقة(٣) وذكر (رايت) ان الفرق بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية هو ان الأولى تصف حدثاً، اما الثانية فتصف شخصاً أو شيئاً ويكون ترتيب الكلمات بطريقة تحقق ذلك إلا إذا كانت هناك رغبة في تأكيد قسم من أقسام الجملة فإن هذا يكفي لأن يكون سبباً للتغيير في مواقع الكلم(٤).

فثنائية التقديم والتأخير إذن ظاهرة لغوية بلاغية تعد من ابرز سمات المنهج الوصفي الذي يعول عليه في التركيب النحوي لتحديد المستوى الدلالي للجملة(٥) وأطلق بعضهم على الجمل التي لا تراعي المبادئ القواعدية في النحو بالجمل الزائفة، وتعرف بأنها جمل (غير أصولية) لأنها انحرفت عن المبادئ التي تحدد القواعد الضمنية التي تقود عملية التكلم، مما يعرفه المتكلم باللغة بصورة لا شعورية، فهي غير مقبولة قواعدياً ولكنها معقولة دلالياً(٦).

التقديم والتأخير في القرآن الكريم:

وإذا كان لهذا الأسلوب هذا الأثر العميق في تغيير المعنى تبعاً لتغير موقع الكلمة في بنية التركيب، فلابد ان بروز هذه الثنائية في القرآن الكريم لها خصوصية قرآنية فريدة، فلكل تعبير معناه في التقديم والتأخير ولكل تبدل في موقع احدهما هدفه ومغزاه، فالكلمة القرآنية تختلف عن سائر الكلمات لأنها تحمل معها أفكاراً ورؤى ومعاني متدفقة مخصوصة تضفي على النص جمالية مخصوصة في سياقها المخصوص، فكأن هذا المكان وهذا الموقع خلقت له تلك اللفظة بعينها وفي ذات الموقع بعينه، وان أي كلمة أخرى أو الكلمة نفسها في غير الموقع نفسه لا تستطيع توفية المعنى نفسه، فكل كلمة وضعت في موضعها لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء(٧).

---

(1) ينظر: H. Sweet, The new English Grammar, p.20.

(2) ينظر: Noam Chomsky, Syntax Structure, p. 121.

(3) ينظر: Wright, w. A Grammar of the Arabic Language, vol: 2 , p.25.

(4) ينظر: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، د. ميشال زكريا: ٩ .

(5) ينظر: جوانب من نظرية النحو، نوم جومسكي، ترجمة مرتضى جواد باقر: ٣٥.

(6) ينظر: م. ن.

(7) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي: ٢٠٥.

ان التنظير لجمال هذه الثنائية في القرآن الكريم قد يستغرق صفحات كثيرة، ولكن أقول بإيجاز ان الكشف عن جمال هذا الأسلوب في القرآن هو الكشف عن منبع من منابع الإعجاز القرآني وطرائق استعمالاته المتباينة على وفق أسس لغوية تبين روعة الأداء التركيبي والدلالي والأسلوبي الذي يوضح خروج نظم القرآن عن نظوم كلام البشر(١) ذلك ان القرآن الكريم قد فاق المعهود من نظام كلام العرب، وتصرف في ثنائية التقديم والتأخير " بحيث لو اجري أي تبديل على أمكنتها لاختل النظام ولما عاد له ذلك السبك والرونق الذي كان عليه من قبل(٢).

ومن هذا الفهم لطبيعة التركيب الخاصة بالقرآن الكريم نحاول هنا إبراز أهمية تقانة التقديم والتأخير في القرآن وأثرها في تغير المعنى إذا خرج البناء عن النظم القرآني وهذا ما يحدث عند ترجمة معنى الآيات القرآنية إلى اللغات الأجنبية.

القرآن الكريم والترجمة:

الترجمة: "هي النقل من لغة إلى أخرى، وهي التي تتعلق بترجمة العلامات اللغوية في لغة ما بعلامات لغوية في لغة أخرى ويشار إليها في العادة بالترجمة الحقيقية Inter – Lingual Translation"(٣) "وترجم كلامه – إذا فسره بلسان آخر – والترجمان والترجمان: المفسر"(٤) والترجمة "تتركز حول إعادة إنتاج Reproduction الرسالة بأقرب ما يعادلها من الناحية الطبيعية في لغة الهدف وذلك فيما يختص بالمعنى وما يختص بالأسلوب"(٥).

والترجمة الحرفية من لغة إلى أخرى يستحيل وقوعها "فالذين هم على بصر باللغات يعرفون ان الترجمة الحرفية لا يمكن حصولها مع المحافظة على سياق الأصل والإحاطة بجميع معناه، فإن خواص كل لغة تختلف عن الأخرى في ترتيب أجزاء الجملة"(٦) مما يجعل الجور واضحاً لا محالة إما على الأسلوب أو على المعنى، يقول الجاحظ: "ومتى وجدنا الترجمان قد تكلم بلسانين علمنا انه قد ادخل الضيم عليها لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها وتعترض عليها"(٧).

---

(1) ينظر: التقديم والتأخير في القرآن الكريم، عز الدين محمد الكردي: ٣٦.

(2) المشاهد في القرآن الكريم / دراسة تحليلية وصفية، حامد صادق قنيبي: ٤٢٩.

(3) علم النص ونظرية الترجمة، يوسف نور عوض: ٨٠.

(4) لسان العرب، ابن منظور: (رجم)، ١/١١٣٦.

(5) علم النص ونظرية الترجمة: ٩٦.

(6) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان: ٣١٣ .

(7) الحيوان: ١/٦٧.

إذا كان هذا الحال فيما يترجم للكلام العادي فكيف إذا كان النص معجزاً فلا شك ان ترجمة معانيه ودلالاته ستكون في حكم المستحيل.

وقد أشار محمد عبدة إلى مسألة هامة تترتب على ترجمة القرآن الكريم فضلاً عن نقل المعاني ألا وهو ضياع التأثير الصوتي وذلك النغم والإيقاع الناشئ عن هذا الترتيب بين الكلمات والذي إذا اختل بتقديم أو تأخير فسوف يختفي معه هذا التأثير(١).

وقال في موضع آخر: "بل نصوا – أي العلماء – على ان في ترتيب حروف الكلمات القرآنية ومراعاة التناسب فيما بينها من الصفات من وجوه الإعجاز ما لا يقدر احد من البشر على الإتيان بمثله، فضلاً عما في ترتيب الكلمات والجمل من اللطائف والأسرار مما لا يحوم حول بيانه لسان أو دركه جنان"(٢).

بعد هذا العرض السريع والموجز لبلاغية ثنائية التقديم والتأخير في لغتنا العربية عامة، وفي القرآن الكريم خاصة، سيحاول البحث إبراز جمالية هذا المثير الأسلوبي في القرآن الكريم وما يحمله من دلالات ومعان ثم فقدان تلك المعاني والنواتج الدلالية عند ترجمة معاني تلك الآيات إلى لغات أخرى، لنثبت بعدها استحالة ترجمة معاني القرآن الكريم بسبب التأثير الهدمي الذي تحدثه الترجمة في التركيبة البنائية لأسلوب القرآن، وفي مقدمة تلك الأساليب على الإطلاق أسلوب التقديم والتأخير الذي هو احد جوانب الإعجاز القرآني.

سيأخذ البحث اللغة الانكليزية مثلاً على ذلك في ترجمة (محمد مرمدوك بكثال)★ الذي يعد من أهم الترجمات الانكليزية للقرآن الكريم★★ كما جاء في مقدمته كونه باكستانياً مسلماً، وسماه: The meaning of the Glorious Koran سنقسم البحث على عنوانات جانبية تبين نمط المتقدم نحوياً، ثم نأتي بالآية القرآنية نتبعها بترجمتها الانكليزية ثم نبين ما أحدثته تلك الترجمة من انزياح لتلك المدلولات والرسائل التي تضمنها ذلك البناء المعجز.

تقديم الخبر على المبتدأ:

لكل كلمة في الجملة ترتيب معين تأتي فيه بحسب وضعها اللغوي والنحوي، فأصل المبتدأ ان يسبق الخبر ولكن قد يخرج النظم عن هذا الترتيب لدواع بلاغية ونفسية وجمالية فيستدعى المؤخر ليكون في المقدمة كما في الآيات الآتية:

---

(1) ينظر: المنار: ٣٢٨/٩.

(2) م. ن: ٢٣٥/٩ .

★ وقد رجع البحث أيضاً إلى ترجمة السيد عبد الله يوسف علي، الباكستاني الجنسية، ووجد ان الترجمتين لا تختلفان من حيث أسلوب التقديم والتأخير.

★★ إعتماداً على ما قاله لي البروفسور J.Burton رئيس قسم الدراسات الإسلامية في جامعة سانت اندروس في المملكة المتحدة، عندما كان مشرفاً لي في دراستي للماجستير آنذاك (١٩٨٣-١٩٨٥م).

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴿٢﴾ ﴾ الحشر:

Ye deemed not that they would go forth , while they deemed that their strongholds would protect them from Allah. p. 393 .

لقد أدى التغيير في البنية السطحية بهذه الحركة الأفقية كما يسميها محمد عبد المطلب[1] وذلك بتقديم الخبر (مانعتهم) على المبتدأ (حصونهم) في النظم القرآني وظيفته البلاغية "للدلالة على فرط وثوق اليهود بحصانة حصونهم ومنعها إياهم بحيث ظنوا انه لا يخرجهم منها أحداً"[2]. وفي تصيير ضمير هم اسماً لـ (إن) وإسناد الجملة إليه دليل على اعتقادهم في أنفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع في معازتهم وليس ذلك في قولك "وظنوا ان حصونهم تمنعهم أو مانعتهم من الله"[3]. وهذا المعنى بالضبط ما جاءت به الترجمة الانكليزية للآية الكريمة، إذ إن البنية السطحية لها بهذه الصيغة أفقدت الآية الكريمة هذا الناتج الدلالي المقصود.

وفي قوله تعالى:

﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الجاثية:

Then praise be to Allah, Lord of the heavens and Lord of the earth, the Lord of the worlds. p. 357.

إن تقديم المسند الخبر (لله) على المسند إليه المبتدأ (الحمد) قصد منه تأكيد الكلمة وتخصيص أثرها الدلالي، أي فلله الحمد خاصة لا يستحق الحمد احد سواه لأنه الخالق والمالك لجميع المخلوقات والكائنات فكأنه سيقال للمكذبين برسالات الأنبياء في ساعة العرض عليه – سبحانه – في يوم القيامة لمن الحمد، ومن أهله؟ فيرد الجواب (لله الحمد) ويعد هذا إرغاماً للمكذبين وقهراً لهم وتقريعاً وتعنيفاً للمنكرين وهذا ما نستشفه من سياق الآيات التي قبلها ﴿ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ ﴿ وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الجاثية:

اما في الترجمة فقدم الحمد على لفظ الجلالة (الله) أي على الأصل وبالتالي زال معنى التخصيص في الآية الكريمة، فلو قال الحمد لله – كما فعلت الترجمة لكان أخباراً بأن الحمد له دون نفيه عن غيره. فتقديم الجار والمجرور أفاد حصره عليه واختصاصه به من دون غيره.

---

[1] ينظر: البلاغة العربية / قراءة أخرى: ٢٣٥.

[2] المثل السائر، ابن الأثير: ١٧٦/٢.

[3] ينظر: الكشاف: ٣٦٦/٤.

وقوله تعالى:

﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٧٩ ﴾ البقرة:

And there is life for you in retaliation , p. 48 .

قدم الخبر وهو شبه الجملة (لكم) على المبتدأ (حياة) وهذه مخالفة أسلوبية تنبئ عن غرض ما، وذلك الغرض هو توجيه التفات السامع(١) ولفت الأنظار إلى ان التشريع الإلهي يعنى بالمؤمنين خاصة.

"فصدر الآية بقوله (لكم) المؤذن بأن منفعة القصاص مختصة بكم، عائدة إليكم فشرعه انما كان رحمة بكم، وإحساناً إليكم فمنفعته ومصلحته لكم، ثم عقبه بقوله (في القصاص) إيذاناً بأن الحياة الحاصلة انما هي في العدل، وهو ان يفعل به كما فعل بالمقتول"(٢) وكانت العرب في الجاهلية إذا قتل الرجلُ الرجلَ تقاتلت القبيلتان "وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة، فلما جاء الإسلام بشرع القصاص كانت فيه حياةُ أي حياةٍ"(٣).

وتنكير (حياة) بحذف مورفيم أل التعريف في بنيته التركيبية لإثبات دلالة التبعيض لعنصر حياة، لأن من يرتدع عن قتل الآخرين خشية القصاص يسلم صاحبه وتتحقق له حياة جديدة(٤)، ولإرادة إفادة الخصوص أيضاً دون الشمول كما ذكر الجرجاني(٥) أي (حياة) لمن أريد قتلهم من الناس لا للناس عموماً فحذف مورفيم (أل) تماشياً مع هذا الناتج الدلالي للتركيب.

اما في الترجمة الانكليزية فيكون معنى الآية (وحياة لكم في القصاص) وهذا يدل على وجود مستوى من التمايز الدلالي بين الأصل وبين النص المترجم، ففي حين إن الآية الكريمة تتضمن ارتفاعاً في الكثافة الدلالية وتشعب المجال الدلالي الجامع لمعاني الحياة كلها نجد ان النص المترجم يعاني من انعدام تلك الدلالات لأنه يركز على الحياة مهما كانت هذه الحياة سواء كانت بالقصاص ام بغيرها وذلك بتقديمه (حياة) وتأخيره (في القصاص) وهذه الدلالة لا يبتغيها القرآن الكريم.

وقوله تعالى:

﴿ ۞ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ١٠ ﴾ إبراهيم:

Their messengers said: Can there be doubt concerning Allah, the Greetor of the heavens and the earth? p. 187.

---

(1) ينظر: اللغة: ج. ڤندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص: ٨٨.

(2) التفسير القيم، ابن الجوزية: ١٤٤.

(3) الكشاف: ٢٠٢/١.

(4) ينظر: دلائل الإعجاز، ٢٨٨

(5) ينظر: م. ن.

ان انزياح النمط التركيبي المألوف الذي جاء بعد مورفيم الهمزة بتقديم الجار والمجرور (الخبر المقدم) على المبتدأ (شك) للتدليل على تضخم الطاقة الإنكارية لعنصر الشك بحيث امتد أثرها إلى وقوعه (في الله) بغية توكيد إنكار أصل الفعل وتقوية أبطاله، وذلك بتوسيع الرقعة الدلالية لمورفيم الاستفهام ونقله من مجرد الاستخبار إلى دلالات الإنكار والتوبيخ على ان يكون الشك (في الله) خاصة ولو كان النظم كما في الترجمة (اشك في الله فاطر السماوات والأرض) لأدى المعنى إلى ان الإنكار واقع على الشك فيكون الشك في الله تعإلى أو في غيره وهذا ليس مراد الآية فجواب الرسل كان بقولهم: أفي وجود الله ووجدانيته شك؟ فهذا لا يحتمل الشك لظهور الأدلة ولهذا لفتوا الانتباه إلى براهين وجوده بقولهم "فاطر السماوات والأرض" أي خالقها ومبدعها على غير مثال سابق⁽¹⁾.

﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٩٧﴾ الأنبياء:

And the True Promise draweth nigh; then behold them staring wide (in terror) the eyes of these who disbelieve! p. 240.

ان مجئ التركيب القرآني بتقديم الفعل (اقترب) على فاعله لم يخرج عن النظم المألوف أو القواعد الأصولية للغة، اذ لم تنشأ حاجة أسلوبية تتطلب تقديم الفاعل فالتركيز على الحدث الأهم وهو اقتراب الساعة، فالفعل والفاعل اتسقا في إبداع جمالي مع الحدث الأهم وهو (الاقتراب).

لكن هناك تقديماً وهو الخبر (شاخصة) على المبتدأ (أبصار) للدلالة على التشخيص، ذكر ابن الأثير "ومن غامض هذا الموضوع قوله تعإلى (واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا) فانه انما قال ذلك ولم يقل:

فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة لأمرين:

احدهما: تخصيص الأبصار بالشخوص دون غيرها. فلو قال: فاذا أبصار الذين كفروا شاخصة لجاز ان يضع موضع شاخصة غيره فيقول: حائرة أو مطموسة أو غير ذلك فلما قدم الضمير اختص الشخوص بالأبصار دون غيرها وثانيهما فانه لما أراد ان الشخوص خاص بهم دون غيرهم دل عليه بتقديم الضمير أولاً ثم بصاحبه ثانياً، كأنه قال: فإذا هم شاخصون دون غيرهم، ولولا انه أراد هذين الأمرين المشار إليها لقال: فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة، لأنه أخصر بحذف الضمير من الكلام"⁽²⁾.

إذن مخالفة الترتيب المعهود للتركيب "ينبئ عن غرض ما وذلك الغرض هو إبراز كلمة من الكلمات لتوجيه التفات السامع إليها، وتلك مسألة أسلوبية يمكن تتبعها إلى أقصى

---

(1) ينظر: صفوة التفاسير، الصابوني: ٨٣/٢.

(2) المثل السائر: ١٧٧/٢.

وقائعها"(١). لأن تغيير الرتب في العناصر التركيبية "شديدة الحساسية واي تغيير فيها يحدث تغييرات جوهرية في تشكيل المعاني والوان الحس، وظلال النفس"(٢) كالذي لاحظناه في تغيير رتبة المبتدأ والخبر.

فأنى للترجمة الانكليزية ان تعبر عن كل تلك المعاني والدلالات التي وصفها علماؤنا الأوائل بانها "من روائق التقديم وبديعه"(٣) و "بانها من أغمض ما في هذا الباب"(٤).

تقديم المتعلقات (الجار والمجرور):

تعد المتعلقات فضلة أو تابع في بنية الجملة ولكن قد تتساوى تلك الفضلة مع العمدة في أداء المهمة الدلالية، اذ تتسلط عملية التحريك التقدمي على الجار والمجرور ليسبق متعلقه، وبهذا يحدث التوافق بين السياق الخارجي في هذه التحولات وبين السياق الداخلي وما فيه من دلالات(5).

ففي قوله تعالى:

﴿ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ٩١ ﴾ طه:

They said: We shall by no means cease to be its votaries till Moses return unto us) p. 232.

تقدم الجار والمجرور (إلينا) على الفاعل (موسى) لتوجيه عدسة الذهن إلى انهم سوف يستمرون في عبادة العجل حتى يعود إليهم موسى لا إلى غيرهم فكأن التركيز هو على عودة موسى إلى قومه وليس المهم هو عودته فقط فيمكن أن يقال إن موسى عاد ولكن لم يعد إليهم ربما إلى قوم آخرين أو إلى مكان آخر. فخصوا عودته بـ (إلينا) عند ذاك سينظرون في الأمر.

وكذلك في تقديم الجار والمجرور (عليه) على متعلقه (عاكفين) وذلك من اجل تخصيصه بالعكوف أي نخصه بالملازمة بقصد القربة والتعبد ولا نعكف على غيره(6).

هذا المنتج الدلالي ينعدم في الترجمة الانكليزية فالمعنى في الترجمة: قالوا: لن نبرح عاكفين عليه إلى ان موسى يرجع إلينا.

---

(1) اللغة: ١٨٨.

(2) دلالات التراكيب: ١٧٥.

(3) الطراز: ٦٩/٢.

(4) المثل السائر: ١٧٧/٢.

(5) ينظر: البلاغة العربية / قراءة أخرى: ٢٥٠.

(6) ينظر: التحرير والتنوير: ١٦ / ٢٩٠.

وقوله تعالى:

﴿ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧ ﴾ طه:

And Moses conceived a fear in his mind. p. 230

ان تجأوز المحفوظ اللغوي بالنسبة لموقع الدال داخل التراكيب يؤدي مهمة إنتاجية طارئة، ففي الآية قدم الجار والمجرور (في نفسه) المتعلق بالفاعل (موسى) لأنه هو بؤرة الحدث، فهو لم يظهر فزعه واضطرابه علناً أمامهم وانما شعر بالخوف بداخله بمقتضى الطبيعة البشرية لأنه رأى شيئاً هائلاً ﴿ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ٦٦ ﴾ طه: فالتعبير (في نفسه) يوحي بعظمة وهول السحر الذي رآه.

اما الترجمة فأخرت الجار والمجرور إلى نهاية الجملة – بوصفه فضله – ومن ثم فقدت الجملة تلك المعاني العميقة.

تقديم الجار والمجرور على متعلقه (الفعل):

كقوله تعالى:

﴿ أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ٥٩ ﴾ النجم:

Marvel ye then at this statement, p.379.

لقد أراد النظم القرآني استحضار المتلقي إلى رحاب الصياغة بابتداء الآية بمورفيم الاستفهام الذي تحول من دلالته الاستخبارية الأصلية إلى دلالات الإنكار والتوبيخ سخرية واستهزاء بهؤلاء المشركين، فإذا كان لديهم عجب فليتعجبوا من غيره لا من القرآن.

اما الترجمة الانكليزية فقدمت الفعل (تعجبون) ومن ثم تحول الناتج الصياغي من المتعجب منه وهو المقصود إلى فعل العجب نفسه وهو غير مقصود.

تقديم الجار والمجرور على المفعول:

ان تسليط عدسة الذهن إلى الجار والمجرور المقدم على المفعول لجعله نقطة الارتكاز التي يتفجر منها المعنى، وليفرض هذا المتعلق سيطرته على بنية النص، كالذي نلاحظه في آيات كثيرة أدى فيها التقديم لهذا العنصر مهمة إنتاجية طارئة وتداخل دلالي مقصود.

ففي قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام عندما دخلت عليه الملائكة:

﴿ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ ٢٨ ﴾ الذاريات:

Then he conceived a fear of them. p. 373 .

فتقديم (منهم) أفاد الاختصاص والحصر أي ان الخوف كان منهم تحديداً لا من غيرهم(١). ولو أخر الجار والمجرور – كما حصل في الترجمة فلا يمنع ان يكون الخوف قد وقع له منهم أو من غيرهم أو من الموقف الذي حصل له أو من أي شيء آخر.

---

(١) ينظر: لمسات بيانية: ٦٦.

ومعظم الآيات التي يحدث فيها هذا التبادل الأسلوبي يكون القصد منها دلالة تخصيصية حصرياً.

كقوله تعالى:

﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ٢٧﴾ هود:

We behold in you no merit above us. p. 167 .

ان تقديم الجار والمجرور (علينا) يشعر بنفي ان يكون هذا الفضل والشرف والمزية لموسى وإتباعه عليهم، فإن وجد فإنه يكون على غيرهم لا عليهم، وهذا التقديم يشي بإبراز معاني التكبر والإعجاب بالنفس واحتقارهم للغير فضلاً عما فيه من شدة اهتمام القوم بأنفسهم، فالتحرك الأفقي لهذا الدال الإضافي أنتج دلالات ثانية لتصب جميعها في الدال الرئيس.

اما الترجمة فجردت الآية من كل هذه النواتج الدلالية عندما أخرت الجار والمجرور (علينا) إلى نهاية الجملة ومن ثم فقدت الآية بلاغة تذوق تلك المعاني.

وكذلك قوله تعالى:

﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ ١١﴾ الأنفال:

And sent down water from the sky upon yon that thereby He might purify yon. p. 139.

فتقديم الجار والمجرور (من السماء) على المفعول به (الماء) في الآية الكريمة أفاد لفت الأنظار إلى قدرة الله تعالى الذي انزل عليهم الماء من حيث لم يحتسبوا، فالأمر يستدعي لفت الأذهان والأنفس إلى قدرة المنزل وليس إلى المنزل، فيكون ذلك ادعى إلى زيادة اليقين وحسن التوكل(1) فحال المتلقي واحتياجاته التعبيرية له حضوره الفاعل في هذه المخالفة الأسلوبية لإشعاره بعظمة الخالق والتفكر في عجائب الكون، فكأن هذه الكلمة قد خلقت لذلك المكان بحيث لو وجدت اللفظة نفسها في موقع آخر لما أدت المعنى نفسه ولما سمت بالتركيب القرآني ليطير في أجواء الإعجاز.

تقديم الجار والمجرور على الصفة:

تقديم الصفة على الموصوف في اللغة الانكليزية جار مجرى القاعدة لذلك يفقد المعنى في كل موصوف يعقبه متعلق به ليليه الصفة، كما ورد في قوله تعالى:

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ٤٩﴾ البقرة:

That was a tremendous traial from your Lord, p. 37.

---

(1) ينظر: دلالات التقديم والتأخير: ١١٨.

ان التشكيل الصيغي للآية الكريمة بتقديم الدال (من ربكم) على الصفة (عظيم) تشي بناتج دلالي في المستوى العميق وهو ان هذا البلاء من ربهم ولن يكشفه ألا هو، لتتعلق القلوب به سبحانه، فالتركيز على مصدر البلاء وليس على صفته، "فهذه المحنة وهذا الاختبار العظيم لكم من جهته تعإلى بتسليطهم عليكم ليتميز البر من الفاجر"(١).

اما الترجمة فقد عجزت عن تأدية هذه الدلالات العميقة وركزت على صفة البلاء وليس على المنسوب إليه(٢).

تقديم الجار والمجرور على الخبر:

قال تعإلى في سورة (المؤمنون):

﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ① ﴾ ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ② ﴾ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ③ ﴾ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ④ ﴾ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ⑤ ﴾ المؤمنون:

Successful indeed are the believers,
Who are humble in their prayers,
And who shun vain conversation,
And who are payers of the poor – due,

ابتدأت السورة الكريمة بإعلان فوز المؤمنين وسعادتهم وحصولهم على بغيتهم مبتدئاً الآية الكريمة بحرف التحقيق (قد) ودخولها على الفعل الماضي للدلالة على انهم قد فازوا وسعدوا ونجحوا وتحقق الأمر فقدم الفعل (أفلح) على الفاعل أي على النمط المألوف تبشيراً لهم بهذا الفلاح والفوز ولم يقل مثلاً (المؤمنون قد افلحوا) لأن في هذا تفويتاً لهذا المعنى البليغ وقد فات هذا المعنى في الترجمة الانكليزية فاستخدم الصفة (successful) بدل الفعل. فالترجمة الحرفية للآية الفالحون حقاً هم المؤمنون، وهذا غير مراد النظم القرآني.

ثم يعدد القرآن الصفات التي يتمتع بها هؤلاء المؤمنون الذين أعلن فلاحهم في بداية السورة فأولاً: الذين هم في صلاتهم خاشعون.

وجاء (الخشوع) بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت للدلالة على انه وصف لهم دائم في الصلاة غير طارئ، لأن الخشوع يعد روح الصلاة وإذا فقد الخشوع أصبحت الصلاة كالجسد الميت بلا روح ونجد انه تعإلى "لما وصفهم بالإيمان على جهة الثبوت وصفهم بالخشوع في الصلاة على جهة الثبوت والدوام أيضاً. فإنه لو قال (يخشعون) لصح الوصف لهم وان حصل لحظة في القلب أو الجارحة في حين انه يريد ان يكون لهم الاتصاف بالخشوع في القلب والجوارح ما داموا في الصلاة"(٣).

---

(1) صفوة التفاسير: ٤٦/١.

(2) ينظر: دلالات التقديم والتأخير: ١١٩.

(3) لمسات بيانية: ٩٩.

ان هذا الانحراف عن المعيار المألوف بتقديم الجار والمجرور (في صلاتهم) على الخبر (خاشعون) لتوجيه الذهن إلى انهم يقومون بهذا الفعل في صلاتهم وفي هذا التغيير بالبنية الشكلية دلالة على أهمية الخشوع في الصلاة كونها ركناً من أركان الإسلام بعد الشهادتين. ولو نظرنا إلى الترجمة القرآنية نجد انها لن تخرج عن النسق المألوف إذ إنها قدمت (يخشعون) على الصلاة وفي هذا دلالة على ان الخشوع الذي هو الانكسار والسكون والتواضع⁽¹⁾ أهم من الصلاة وليس ذلك هو المراد "فإن الصلاة أهم والصلاة من غير خشوع اكبر وأعظم عند الله من خشوع بلا صلاة فإن المصلي وإن لم يكن خاشعاً أسقط فرضه وقام بركنه بخلاف من لم يصلّ "⁽²⁾.

اما الصفة الثانية لهؤلاء المؤمنين فأنهم (عن اللغو معرضون) اذ "لما وصفهم بالخشوع في الصلاة اتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الأنفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف"⁽³⁾.

وجاءت بنية الاعراض بالجملة الاسمية أيضاً للدلالة على انه وصف ثابت لهم وليس عارضاً يتناسب مع الصفات التي ذكرها، (مؤمنون، خاشعون).

وقدم الجار والمجرور على الخبر (معرضون) للدلالة على معنى الاهتمام والحصر لما يعرض عنه، اذ المقام ان يقدم المعرض عنه (اللغو) لا الإعراض، فإن الإعراض قد يكون إعراضاً عن خير، وهذا لا ينبغي ان يكون، بل ينبغي ان يسارع فيه⁽⁴⁾. وهذا المعنى يتحقق في الترجمة الانكليزية عندما قدمت فعل الاعراض (shun) على المعرض عنه (عن اللغو conversation) فضلاً عما في هذه الكلمة من معنى الحوار أو المناقشة التي هي بعيدة كل البعد عما يريده القرآن من معنى (اللغو) الذي هو "السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع"⁽⁵⁾ وليس أي حوار أو مناقشة كما تدل عليه لفظة conversation. ولو ان هذا الموضوع لا يعنينا في بحثنا لأن التركيز هنا على أسلوب التقديم والتأخير والمعاني المستقاة من جراء هذا التبادل في مواقع الكلمات في الجملة.

اما صفة هؤلاء المؤمنين الثالثة فهي (والذين هم للزكاة فاعلون) وذكر الدكتور فاضل السامرائي ان "تقديم الزكاة للاهتمام والعناية والقصر أي لا يفعلون الا الخير، والزكاة منها"⁽⁶⁾.

---

(1) ينظر: لسان العرب: ٨٣٥/١ (خشع).

(2) لمسات بيانية : ١٠٠.

(3) الكشاف: ٣/ ٢٤١.

(4) ينظر: روح المعاني: ٤/١٨-٥ ؛ تفسير البيضأوي: ٤٥١ .

(5) لسان العرب (لغو): ٣٧٨/٣.

(6) لمسات بيانية ١٠٦:.

وجاء التركيب القرآني بصيغة اسم الفاعل (فاعلون) للدلالة على انهم مواظبون على الزكاة مبالغون في أدائها بحيث يكون ذلك الفعل صفة لازمة لهم، فيصير أداء الزكاة فعلاً لهم مضافاً إليهم يعرفون به فهم له فاعلون(١) و (فاعلون) ابلغ مما لو جاء بكلمة أخرى كـ (يؤدون، أو يؤتون) لدلالة الكلمة على تلك المعاني كلها.

ان هذا التبادل الأسلوبي بتقديم المفعول (للزكاة) على الفاعل (فاعلون) للدلالة على الاختصاص، ثم زيدت اللام لتوكيد الاختصاص وتسمى بالمقوية(٢) .

اما الترجمة الانكليزية فقد خسرت تلك المعاني كلها بتقديم الفعل (payers) على المستحقين من الفقراء (poor –due) وشتان بين المعنيين.

ان هذه الصفات – جميعها - التي ذكرت للمؤمنين وردت بأسلوب مخالف للقواعد الأصولية للغة التي تقتضي تقديم المبتدأ ثم الخبر ثم المتعلقات أو الفضلة كما تسمى عند علماء النحو. وذلك للتدليل على تضخم الطاقة الدلالية في عنصر الفعل بحيث امتد أثرها من نطاقه إلى احياز العناصر الأخرى(٣) كالجار والمجرور في هذه الآيات الكريمة.

تقديم الفعل على متعلقاته:

ليس من الضروري ان تكون اللغة الأدبية لغة منحرفة دائماً فالقاعدة النحوية لا تخرج من دائرة الأدبية وانما تتجاوز مردودها المباشر إلى استشراف أبعاد جمالية من الإثارة والتأمل في ذلك المعيار المألوف(٤) .

تقديم الفعل على الفاعل:

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾﴾ الأنبياء:

How many a community that dealt unjustly have We shattered, and raised up after them another folk) p. 234.

فتقديم الفعل (قصمنا) في النظم القرآني أضفى على النص معاني الغضب الشديد والسخط العظيم(٥) والتخويف والوعيد لأن القصم هو الكسر الشديد الذي لا يرجى بعده التئام ولا انتفاع، واستعير هنا للاستئصال والإهلاك الشديد(١).

---

(1) ينظر: بيان اعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، الخطابي: ٤١ .

(2) ينظر: لمسات بيانية، ١٠٤.

(3) ينظر: الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني، د. دلخوش جار الله،: ١٢٥.

(4) ينظر: البلاغة العربية / قراءة أخرى: ٢٤٣.

(5) ينظر الكشاف: ٣/١٨٠.

أما تأخير الفعل كما حدث في الترجمة فلا يظهر تلك المعاني وانما يبدو التركيز على كثرة القرى المدمرة لأن الجملة ابتدأت بـ (Howmany).

وهذا المعنى نفسه يحدث في كل آية قرآنية يقدم فيها الفعل على الفاعل لينبه الأذهان إلى المتقدم الذي هو الفعل وليجعل الدلالة تتجه إلى الاتكاء على طلب الحدث أولاً(٢).

كما في قوله تعالى:

﴿ ۞ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ الرعد:

But only men of understanding heed. p. 184.

فتقدم الفعل على الفاعل للتركيز على الحدث الذي هو التذكر والاتعاظ بآيات الله الذي هو من خصائص ذوي العقول السليمة، وعند تأخير الفعل وتقديم الفاعل عليه كما حصل في الترجمة يتلاشى هذا التركيز لينصب على الفاعل وليس على الفعل وهذا ما يخالف مقاصد النظم القرآني.

تقديم المفعول على الفاعل:

ورد هذا النوع من التقديم في آيات كثيرة نورد عدداً منها كقوله تعالى:

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾ الأنفال:

وفي الترجمة:

If thou couldst see how the angels receive those who disbelieve smiting their faces and their backs and (saying); Taste the punishment of burning. p. 142.

ان التغيير في التشكيل البنائي الأصلي بنقل المفعول إلى موضع الفاعل يشي بإظهار معاني دلالية مقصودة لا تتأتى لو جاء التشكيل النظمي على حاله.

فحين قدم النظم القرآني (الذين كفروا) المفعول (الاسم الموصول وصلته) على الفاعل (الملائكة) لبيان حال الكافرين عند الاحتضار اذ أخزاهم سبحانه بجعل الضرب على وجوههم وأدبارهم "وانما خصوهما بالضرب لأن الخزي والنكال في ضربهما أشد"(٣) فالمراد تسليط عدسة الذهن عليهم عند احتضارهم - لأنه ليس كاحتضار المؤمن – وما يلقون من أذى ومشقة وان العذاب يصب عليهم صباً لحظة الاحتضار، فالناتج الدلالي اذن تشنيع حالة الكفر

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٥/١٧.

(2) ينظر: البلاغة العربية / قراءة أخرى: ٢٤٩.

(3) الكشاف: ٢٦٥/٢.

وتغليظ بيان عقوبة الكافرين(١) فقدم المفعول (الذين كفروا) ولو قدم الفاعل (الملائكة) في هذا الموضع لم يفد هذا المعنى لأنه لا يتعلق غرض بذكرهم، فإن الملائكة يتوفون بني آدم جميعاً مؤمنهم وكافرهم(٢) وهذا المعنى لا يقصده القرآن الكريم ولكن الترجمة الانكليزية أدت هذا المعنى غير المقصود قرآنيا بتقديمها الفاعل على المفعول اذ تفيد الترجمة: الم تر اذ يتوفى الملائكة الذين كفروا، وبهذا الأداء الفني والجمالي الذي تحقق بتأخير الفاعل ارتقى الأسلوب من السمة الإخبارية إلى البلاغية العالية التي غيبت في الترجمة.

﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ ﴾ النساء:

And when kinsfolk and orphans and the needy are presen at the division (of the heritage), bestow on them. p. 80.

في تقديم المفعول على الفاعل يظهر جلياً ان ثنائية التقديم والتأخير ليست أمراً يظهر في البنية الخارجية فقط دون وجود علة دلالية مرتبطة بهذا التحول السطحي، ذلك ان التقديم "يكون دائماً لغرض يتعلق بالمعنى وليس لغرض يتعلق بالبنية الشكلية أو بموسيقى الكلام"(٣).

فقد قدم المفعول به (القسمة) على الفاعل (أولو القربى واليتامى والمساكين) لأن مدار الحديث منصب عليها، وهي المبحوث عنها فكان الأولى بها ان تتقدم على الفاعل لأنها الأهم في الذكر لتكون أمام الحاضرين في اللفظ كما هي في الواقع وتلتفت اليها الأعناق وتستقر في النفوس وتجعل القائمين عليها يهتمون بقسمتها وإعطاء من يحضرونها من أولي القربى واليتامى والمساكين. فضلاً عن ان في الفاعل تعداداً وتطويلاً لا يحسن ان تأتي بعده لأنها تفقد أهميتها فكان الأولى والاهم ذكرها في بداية الحديث(٤).

كل هذه المعاني غيبت في الترجمة فتقدمت الفواعل المتعددة على المفعول ومن ثم فقدت الآية نكهتها البلاغية ومعانيها الثانية.

﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴿١٣٧﴾ ﴾ الأنعام:

Thus have their (so – called) partners (of allah) made the killing of their children to seem fair unto many of the idolaters. p. 118.

---

(1) ينظر: معاني النحو: ٥٦/٢.

(2) ينظر: م. ن .

(3) في نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبق، د. خليل احمد عمايرة: ٩٠.

(4) ينظر: روح المعاني: ٢١٢/٤؛ التقديم والتأخير في القرآن الكريم، حميد احمد عيسى العامري: ١١١.

ان التغيير الأسلوبي في الآية الكريمة في تأخير الفاعل (شركاؤهم) وتقديم المفعول عليه (قتل أولادهم) مرتبط بسياق الحال أو سياق الظرف كما يقولون(١) لدى كل من المتلقي والمتكلم وذلك من اجل إحداث تشويق لدى المتلقي لينتظر من هو الذي زين لهؤلاء المشركين "قتل أولادهم بالوأد أو بنحرهم لآلهتهم"(٢) ليأتي الفاعل في نهاية الآية بعد ان وصل التشويق إلى مداه وبعد ان لفت نظرهم وبهرهم في إسناد الحدث الواقع على المفعول لا على الفاعل.

اما تقديم الفاعل في الترجمة فقد احدث ارتباكاً بخصوص إعادة الضمير في (أولادهم) أي على (شركاء) لا على (المشركين)(٣) لأن المقصود من التركيب الإلهي هو (وكذلك زين شركاء كثير من المشركين قتل أولادهم). وكذلك اخل بقصد التشويق الذي من اجله أُخر في الآية.

ونلاحظ الفرق في معنى الآية وفي معنى الترجمة في قوله تعالى:

﴿ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤ ﴾ البقرة:

نرى انها أصبحت بعد الترجمة:

And (remember) when his Lord tried Abraham with (His) commands, and he falfilled them, He said: Lo! I have appointed thee a leader for mankind. (Abraham) said: And of my offspring (will there be leader)? He said: My covenant includeth not wrong doers. p. 44

أي ان المعنى بعد الترجمة صار: (واذ ربك ابتلى إبراهيم بكلمات فأتمهن، قال إني جاعلك إماماً للناس. قال ومن ذريتي، قال عهدي لا يناله الظالمون).

إن التبادل الموقعي الناتج من نقل إحدى المفردات (بقاعدة التحويل الاختياري) من موقع إلى موقع آخر لتوكيد فكرة معينة (Focusing)(٤) ظهر جلياً في الآية الكريمة إذ قدم المفعول (إبراهيم) الذي حقه التأخير لبيان قصته والإعلام بخبره وما كان منه فهو محور الحديث وكذلك قدم الجار والمجرور (للناس) على المفعول الثاني (لجعل) لإثبات فضله على كل أهل زمانه(٥).

على حين لم تركز الترجمة على أي جزء من أجزاء هذا المعنى فهدفها الإخبار لا غير.

---

(1) ينظر: نظرية النحو العربي: ٨٥.

(2) صفوة التفاسير: ٣٥٤/١.

(3) ينظر: دلالات التقديم والتأخير: ١٢٠.

(4) ينظر: التقدير وظاهر اللفظ ، د. دأود عبدة، مجلة الفكر العربي، بيروت، ع٨-٩، السنة الأولى، ١٩٧٩ م: ١١.

(5) ينظر: دلالات التقديم والتأخير: ١٢٢ .

﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ ﴿١٨﴾ ﴾ النساء:

The forgiveness is not for those who do ill deeds until when death attendeth upon one of them, he saith 000

إن هذا المستوى الراقي من الأداء المغاير للمعيار المألوف لإنتاج دلالة مغايرة في أمور لطيفة ودقيقة كتقديم المفعول به (احدهم) على الفاعل (الموت) وذلك لأنه مما تكره سماعه النفس⁽¹⁾ وهذا يشير إلى بعد نفسي "فالإنسان يرغب في تأخر الموت، ويتمنى ان لا يأتيه أبداً ليستمتع بحياته، وإذا كان لابد من قدومه فليتأخر، فالنظم القرآني راعى هذه الرغبة النفسية البشرية، فأخره في التركيب لأنه مؤخر عن شعور الإنسان وتفكيره"⁽²⁾.

اما الترجمة فلم تراع هذه الرغبة النفسية والشعور الإنساني فجعلت الموت أول ما يطرق سماع المخاطب. وهذا البناء نفسه مطرد في القرآن الكريم فنراه يؤخر الفاعل (الموت) ويقدم المفعول به تجنباً لتكدير صفو المتلقي.

كقوله تعالى:

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ ﴿١٣٣﴾ ﴾ البقرة:

Or were ye presnt when death came to Jacob, he said unto his sons 000 p. 44

اما قوله تعالى:

﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴿١٠﴾ ﴾ المنافقون:

And spend of that wherewith We have provided you before death cometh unto one of you. p. 40

فضلاً عما ذكر من مراعاة لشعور المخاطب هناك علة دلالية أخرى وهو ان المفعول به المقدم (أحدكم) هو المهم ههنا لأنه المعني بالتوبة والإصلاح، وهو المدعو للإنفاق، وهو المتحسر النادم اذا عاجله الموت فالعناية والاهتمام منصبان على المفعول الذي يأتيه الموت وهو كل واحد منا⁽³⁾. اما الترجمة فلم تظهر هذا الناتج الدلالي.

تقديم المفعول على الفعل:

المألوف ان يتصدر الفعل الجملة الفعلية لكن اذا انحرف التركيب عن هذا النموذج المعتاد من الكلام فلابد من سر بلاغي ودلالة ثانية يختبئان وراء ذلك الانحراف في التشكيل البنائي الأصلي. ففي سورة العنكبوت ورد قوله تعالى:

---

(1) ينظر: من أسرار اللغة: ٢٣١.

(2) التعبير القرآني والدلالة النفسية، د. عبد الله محمد الجيوسي: ٣٠٧ وينظر: لطائف قرآنية للخالدي: ١١٥.

(3) ينظر: لمسات بيانية: ١٣٧.

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِۦ ﴿٤٠﴾ ﴾ العنكبوت:

So We took each one in his sin. p. 281

فقدم المفعول به (كلا) أي ان كل واحد من المجرمين المذكورين في الآيات السابقة كقوم لوط وفرعون وهامان وغيرهم اهلك بسبب ذنبه وعوقب بجنايته وكانت عقوبته بما يناسبه⁽¹⁾ فقدم كلاً للاهتمام بأمر الاستيعاب والاستغراق أي كل واحد منهم لا بعضاً من دون بعض⁽٢⁾.

اما في الترجمة فقد صار المفعول في موضعه بعد الفعل. ليتجرد التركيب من تلك الدلالات التي كانت متكئة على ذلك التغيير الأسلوبي.

فالتقديم ليس من اجل تخصيص هؤلاء بالإهلاك وحصرهم من دون غيرهم حسب وانما من اجل ذمهم وبيان مصير كل واحد منهم.

﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ الزمر:

Nay, but Allah must thou serve, and be among the thankful. p. 333

ان تغييراً دلالياً لابد ان يطرأ جراء التغيير الموضعي بين الفعل والمفعول ذلك لأن الناتج الدلالي رهين بدوران الكلمة وتقلباتها في سياق التركيب اللغوي بوصف الكلمة حاملة للمعنى ومصورة له⁽٣⁾ وبذلك يتحقق تزامن مطلق بين البنية العميقة على مستوى الدلالة وبين البنية اللغوية السطحية على مستوى الصياغة.

فعندما اخبر الله عز وجل نبيه الكريم ان يوجه عبادته إلى الله وحده وان يجعلها خالصة لوجهه فقال (بل الله فاعبد) فتقديم المفعول به دل على وجوب اختصاص الله سبحانه وتعالى بالعبادة وحده من دون غيره⁽٤⁾.

وذكر ابن الأثير: "فانه انما قيل (بل الله فاعبد) ولم يقل بل اعبد الله [كما حصل في الترجمة الانكليزية] لأنه اذا تقدم وجب اختصاص العبادة به دون غيره ولو قال (بل اعبد) لجاز ان يقع الفعل على أي مفعول شاء"⁽5⁾.

وتقديم المفعول به على الفعل كثير جداً في القرآن الكريم ولكل منها لطائف دلالية ناتجة عن هذه التغييرات الأسلوبية وكل تلك الأسرار واللطائف والدلالات لا تحملها الترجمة الانكليزية.

---

(1) ينظر: ابن كثير ٤١٧/٣ ؛ صفوة التفاسير ٣٩٩/٢.

(2) ينظر: التقديم والتأخير في القرآن الكريم، حميد احمد عيسى العامري: ١١٣.

(3) ينظر: مفهوم المعنى عند الجاحظ: ٢٣٣.

(4) ينظر: التفسير الكبير: ١٢٩/٨-١٣٠.

(5) المثل السائر: ١٧٣/٢.

تقديم المفعول على الفعل بعد همزة الاستفهام:

إن انزياح التركيب الاستفهامي عن أصل وضعه الدلالي وهو طلب الفهم، له دلالات موحية ففي الأمثلة القرآنية الآتية من سورة الأنعام مثلا تم إفراغ أداة الاستفهام من دلالتها الوضعية وتضمينها دلالات بديلة هي الإنكار والتوبيخ ثم تم تسلط الاستفهام المفرغ على المفعول المقدم (غير)، ولوردت الصياغة إلى الأصل – كما حصل في الترجمة – لضاع هذا التسلط ولتغير الناتج الدلالي⁽¹⁾.

﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا ١٤ ﴾ الأنعام:

Say: Shall I choose for a protecting friend other than Allah. p. 109

﴿ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٠ ﴾ الأنعام:

Do ye theu eall (for help) to any other than Allah. p. 111

﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا ١١٤ ﴾ الأنعام:

Shall I seek other than Allah for Judge. p. 117

﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ ١٦٤ ﴾ الأنعام:

Say: Shall I seek another than Allah for Lord, when He is Lord of all things. p. 121

قال عبد القاهر الجرجاني في بيان سبب تقديم المفعول به (غير الله) على الفعل (اتخذ) و(تدعون) ويقاس عليها أبتغي وابغي ان له "من الحسن والمزية والفخامة ما تعلم انه لا يكون لو أخر فقيل: قل أأتخذ غير الله ولياً وأتدعون غير الله؟ [وهذا الذي حصل في الترجمة الانكليزية] وذلك لأنه قد حصل بالتقديم معنى قولك: أيكون غير الله بمثابة ان يتخذ ولياً؟ وأيرضى عاقل من نفسه ان يفعل ذلك؟ وأيكون جهل أجهل وعمى أعمى من ذلك؟ ولا يكون شيء من ذلك إذا قيل أأتخذ غير الله ولياً وذلك لأنه حينئذ يتناول الفعل ان يكون فقط ولا يزيد على ذلك فاعرفه"⁽²⁾.

ان هذا الانزياح عن النمط التركيبي المألوف مع مورفيم الهمزة الدال على ان إنكار أصل الفعل، باستئثار المفعول مجاورة الهمزة يستخلص منه ثلاث دلالات فرعية ذكرها عبد القاهر الجرجاني، وهي أولاً دلالة تثبيتية تحقيقية لفعل كائن ومستقر، ودلالة إنكارية رافضة لهذا الفعل ودلالة تقريعية تعريفية لفاعله⁽³⁾. هذه الدلالات الثلاث لا يمكن إظهارها إذا تقدم الفعل على المفعول كما حصل في الترجمة الانكليزية.

---

(1) ينظر: البلاغة العربية / قراءة أخرى: ٢٤٨.

(2) دلائل الاعجاز ٩٥.

(3) ينظر: دلائل الاعجاز ١١٣-١١٤ ؛ الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني: ١٢٣.

وينظر قوله تعالى في الآيات الكريمة الآتية:

١. ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٥٧﴾ البقرة

٢. ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٧﴾ آل عمران:

ج

٣. ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١٦٠﴾ الأعراف:

٤. ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٧٠﴾ التوبة:

٥. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٤﴾ يونس:

٦. ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٣٣﴾ النحل:

٧. ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٨﴾ النحل:

٨. ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠﴾ العنكبوت:

٩. ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٩﴾ الروم:

في هذه الآيات جميعها يقدم المفعول به (أنفسهم) على الفعل (يظلمون) ليجعل ما حصل لهم بما فعلوا هم أنفسهم فاستحقوا ذلك لأن وبال العصيان راجع عليهم. يقول الزمخشري: (فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلموا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه)[1] .

هذا المعنى تلاشى في الترجمة الانكليزية لهذه الآيات لأن الفعل فيها تقدم على المفعول به ليكون معنى الآية:

(*) We wronged them not, but they did wrong themselves. p. 38.
Allah wronged them not, but they did wrong themselves. p. 197
It was not for Allah to wrong them, but they wronged themselves. p. 287.

تقديم خبر إن على اسمها:

ومنه قوله تعالى في سورة الحجرات مخاطباً المؤمنين:

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ ٧﴾ الحجرات:

And know that the messenger of Allah is a among you. p. 368

فقد جاءت البلاغة القرآنية بتقديم المسند (خبر إن) (فيكم) على اسمها (رسول) لإضفاء معنى التوبيخ والتقريع لمن كانوا يريدون ان يطيعهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في غالب ما يشيرون عليه من الأمور.

---

[1] الكشاف: ١/١٧٠

(*) ينظر الترجمة في الصفحات: 203 ; 160 ; 151 ; 290 ; 287 ; 197 ; 133 ; 38

قال الزمخشري: "فإن قلت ما فائدة تقديم خبر (إن) على اسمها؟ قلت: القصد إلى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن الله منهم من استتباع رأي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لآرائهم فوجب تقديمه لانصباب الغرض إليه"(١).

أما إذا نظرنا إلى الترجمة الانكليزية (واعلموا ان رسول الله فيكم) فسوف نجد انها لم تراع هذا التبادل الذي حدث في البنية السطحية ومن ثم فقدت الجملة بلاغيتها وأصبحت جملة لم تخرج عن النسق المألوف أي اعلموا ان رسول الله فيكم و حينئذٍ يقع الفعل على الجار والمجرور (فيكم) ويحتمل ان يقع على غيركم أي فيكم وفي غيركم. وهذا ما لا يبتغيه النص القرآني.

تقديم الظرف على خبر إن:

﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ١٢٧﴾ الأعراف:

We are in Power over them. p. 130

هذه جزء من الآية وقبلها ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ ١٢٧﴾ الأعراف:

ان في هذا الخروج عن النسق المألوف بتقديم الظرف (فوقهم) على خبر إن (قاهرون) تمايزاً دلالياً وهو تصوير فرط إحساس فرعون بقوته وتجبره وشعوره بالاستيلاء والتحكم وتيقنه من الفوز لما في هذه الكلمة من الدلالة على الفوقية والعظمة بالاستعلاء وهذا التقديم يشي في إبراز وكشف داء العظمة والتجبر والقهر في شخصية فرعون.

في حين ان الترجمة جردت الآية من تلك الدلالات كلها عندما أجرت الجملة على النسق المألوف بتأخير (فوقهم) على (قاهرون) اذ أصبح معنى الجملة (وانا قاهرون فوقهم).

تقديم خبر كان على اسمها:

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾ الروم:

To help believers is incumbent upon Us. p. 293

ان في هذا النسق التركيبي في تقديم خبر كان على اسمها وتوسط حرف الجر (علينا) في بناء الجملة القرآنية يشعر السامع أو المتلقي بالمبالغة في تكريم المؤمنين ونصر الذين يظهرون سابقة الفضيلة والإيمان والجهاد في سبيل الله، فجعلهم مستحقين للظفر والنصر، فكان تقديم الخبر أهم من حيث كونه امتناناً على المؤمنين وتشجيعاً لهم ومشعراً بالتوكيد والاطمئنان في نفوسهم(٢).

---

(1) الكشاف: ٢٥٠/٤.

(2) ينظر: البحر المحيط : ١٧٨/٧.

وهذه الآية اعتراضية جاءت بين الآيات المفصلة لأحكام الرياح تسلية للنبي (صلى الله عليه وسلم) وتأنيساً له ووعداً له بالنصر ووعيداً لأهل الكفر(١).

اما الترجمة القرآنية فلم تعن بتلك الدلالة اذ ان معنى الآية يصبح:

(نصر المؤمنين حق علينا) اذ يظهر لأي قارئ مستوى التمايز الدلالي بين النمطين فضلاً عما في معنى (نصر المؤمنين) من دلالات العزة والتمكن لا تدل عليها آية لفظة أخرى كـ (help) مثلاً.

توسط حرف الجر بين الخبر الأول لكان وخبرها الثاني:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴿٨﴾ ﴾ المائدة:

المعنى بعد الترجمة:

O ye who believe: Be steadfast witnesses for Allah in equity, p. 97

ان هذا الترتيب في شبكة العلاقات الرابطة للوحدات اللغوية في الآية الكريمة لمثير أسلوبي يستحق التوقف اذ يشي بتمايز دلالي أي كونوا قوامين فقط لله في أموركم كلها، أي ليتكرر ذلك منكم في كل أمر، ومبالغين في الاستقامة بشهادتكم لله(٢)، لذلك عدي قوامين بمورفيم (اللام) ثم طلب منهم بعد ذلك ان يشهدوا بالعدل شهادة لا حيف فيها وأولى شهادة بذلك شهادتهم لله تعالى(٣).

اما الترجمة فقد تحول المعنى فيها إلى كونوا قائمين شهداء لله بالقسط وهذا الناتج الدلالي في مثل هذا النسق من التركيب لا يريده النظم القرآني.

تقديم الحال على صاحب الحال:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ سبأ:

And We have not sent thee (O Muhammad) save as a bringer of good tidings and a warner unto all mankind; but most of mankind know not. p. 309

ان هذا الإجراء التحويلي على صعيد الشكل بتقديم الحال (كافة) على صاحبها المجرور (للناس) يشي بإجراء تحويلي على صعيد الدلالة، فالله تعالى قد أرسل محمداً (صلى الله عليه وسلم) إلى الناس كافتهم عربهم وعجمهم، فللاهتمام بهذه التعميم قدم الحال على صاحبه كما ذهب إلى ذلك اغلب المفسرين(٤).

---

(1) م.ن : ١٧٨/٧.

(2) ينظر: صفوة التفاسير ٢٧٦/١.

(3) ينظر: التحرير والتنوير ١٣٥/٦.

(4) ينظر: البحر المحيط ٢٨١/٧؛ روح المعاني: ١٢٢، تفسير الجلالين: ٥٦٧.

اما الترجمة الانكليزية فقد أخرت (كافة) إلى نهاية الجملة ومن ثم ضاعت دلالة إبراز هذه اللفظة وتقديمها وفقدت ذلك الناتج الدلالي الرائع، فأصبحت: "وما أرسلناك إلا بشيراً ونذيراً للناس كافة".

توسط النداء بين المفعول الأول لظن ومفعولها الثاني:

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴿١٠١﴾ ﴾ الإسراء:

﴿ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴿١٠٢﴾ ﴾ الإسراء:

Then pharaoh said unto him: Lo ! I deem thee one bewitched, O Moses. p. 210

And Lo! (for my part) I deem thee lost, O pharaoh. p. 210

ان هذا التفنن النظمي والجمال الدلالي في توسط بنية النداء بين مفعولي (ظن) في نداء فرعون لموسى عليه السلام في الآية الأولى استدعاء من فرعون لإظهار عناده ومكابرته على موسى، وجاء في جواب موسى لفرعون بمثل ما شافهه فرعون به فقال: (وإني لأظنك يا فرعون مثبورا) مستحضراً سياق النداء نفسه مقارعة له وإظهاراً لكونه لا يخافه وانه يعامله بالمثل، مستحضراً معه دلالات الإنذار والتهديد لفرعون بقرب هلاكه(1).

اما الترجمة الانكليزية فقد أغفلت هذه النواتج الدلالية في التشكيلة الصياغية للآيتين وذلك بتأخير بنية النداء إلى نهاية الجملة ففقد النداء استحضار الهوامش الدلالية المصاحبة له في هذا السياق وهي جعل المتلقي يقبل بكليته إلى سماع بقية عناصر الجملة لأنه حين ينتظر المفعول الثاني لظن يفجأ بعنصر لغوي غير متوقع ألا وهو حرف النداء والمنادى.

وهكذا تبين لنا، إن أي حركة في الترتيب المألوف للجملة القرآنية قد أدى إلى إضافة معنى جديد إلى المعنى العام للآية إلا ان عدم التزام المترجم بهذا التغيير، إما بسبب طبيعة اللغة الانكليزية وكيفية بنائها أو بسبب إغفال المترجم لهذه الحركة جهلاً بمقاصدها أو عدم انتباه إلى ما يحدثه هذا التغيير من نواتج دلالية، قد فوت على القارئ في تلك اللغة معان ودلالات فكرية ونفسية مقصودة في النظم القرآني.

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير ٢٢٨/١٥ .

نتائج البحث:

أظهر البحث ان ترجمة معاني الآيات القرآنية للغات الأخرى كالانكليزية مثلاً وهي لغة عالمية، لم تكن قادرة على إيصال الفكرة للآية القرآنية بما فيها من معان ظاهرة وأخرى عميقة عبر عنها أسلوب بلاغي واحد، وهو أسلوب التقديم والتأخير، وانما هي ترجمة للمعنى العام للآية، اما ما وراء هذا المعنى من نتاجات فكرية ودلالات نفسية وطاقات دلالية وجمالية يعبر عنها هذا الإجراء الأسلوبي فقد وقفت الترجمة عاجزة تماماً عن إيصالها إلى القارئ في تلك اللغة.

فالمعنى المترجم لم يكن انعكاساً تاماً للمعنى المراد من النص الأصلي لأن التبادل في المواقع في الجملة القرآنية ينتج تبايناً دلالياً في الهيئة المستحدثة للعناصر التركيبية في كل سياق، فهناك أسرار وجماليات مترتبة على تقديم أو تأخير في تلك العناصر النحوية مرتبطة بالأبعاد النفسية والاجتماعية للأطراف المشاركة في الحدث اللغوي، وبطبيعة المقامات والمواقف الخارجية، عجزت الترجمة عن إيصالها إما جهلاً ببلاغة هذا الأسلوب وبدلالاته أو بسبب طبيعة بناء تلك اللغة على الرغم من ان مترجم النسخة التي اعتمد عليها البحث وهو (محمد مرمدوك بكثال) باكستاني مسلم، إلا ان هذه المعاني قد فاتته كما تفوت على كثير من أبناء هذه اللغة غير المتخصصين بأساليبها.

المصادر والمراجع:

١. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، مؤسسة المختار، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣ م.

٢. الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

٣. البحر المحيط، ابو حيان الأندلسي، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، المملكة العربية السعودية، د.ت.

٤. البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم ابن الزملكاني (ت، ٦٥١هـ)، تحقيق احمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٩٦٤.

٥. البلاغة العربية/قراءة أخرى، محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، ط١، ١٩٩٧.

٦. بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منير سلطان، منشأة معارف الإسكندرية، د.ت.

٧. بنية اللغة الشعرية، جون كوهين، ترجمة محمد الولي، محمد العمري، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٨٦م.

٨. البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، الهيئة العربية للكتاب، ١٩٨٤م.

٩. بيان اعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الاعجاز، تحقيق د. محمد زغلول سلام ود. محمد خاف الله، دار المعارف، القاهرة، ط١، د.ت.

١٠. التحرير والتنوير، ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د.ت.

١١. التعبير القرآني والدلالة النفسية، د. عبد الله محمد الجيوسي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط٢، ٢٠٠٧ م.

١٢. تفسير البيضأوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي (ت ٦٩١هـ)، د.ت.

١٣. تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن احمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن بكر السيوطي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

١٤. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

١٥. التفسير القيم، محمد بن ابي بكر بن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، ١٩٧٨م.

١٦. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار الفكر ١٩٩٠م.

١٧. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار الفكر، د.ت.

١٨. التقدير وظاهر اللفظ، د. دأود عبدة، مجلة الفكر العربي، ع ٨-٩، السنة ١، بيروت ١٩٧٩م.

١٩. التقديم والتأخير في القرآن الكريم، حميد احمد عيسى العامري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٦.

٢٠. التقديم والتأخير في القرآن الكريم، عز الدين محمد الكردي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.

٢١. الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، دلخوش جار الله حسين، منشورات دار دجلة، الأردن، ط١، ٢٠٠٨ م.

٢٢. جوانب من نظرية النحو، نوم جومسكي، ترجمة مرتضى جواد باقر، الموصل، ١٩٨٥م.

٢٣. الحيوان، ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت، ط٣، ١٩٦٩م.

٢٤. الخصائص، ابو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية – الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤ ، ١٩٩٠م.

٢٥. دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨م.

٢٦. دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: مكتبة القاهرة، القاهرة، ط١، ١٩٦٩م.

٢٧. دلالات التراكيب/دراسة بلاغية، د. محمد ابو موسى، دار العلم للطباعة، القاهرة، ط١، ١٩٧٩م.

٢٨. دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، دراسة تحليلية، منير محمود المسيري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥ م.

٢٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ابو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ت .

٣٠. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

٣١. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩هـ) بيروت، د.ت.

٣٢. علم النص ونظرية الترجمة، يوسف نور عوض، رئيس قسم الدراسات الإسلامية، جامعة سالفورد البريطانية، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٠هـ.

٣٣. في نحو اللغة وتراكيبها/منهج وتطبيق، د. خليل احمد عمايرة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٩٨٤م.

٣٤. الكتاب، سيبويه (ت ١٨٠هـ) تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٨م.

٣٥. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقأويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، شرحه وطبعه وراجعه يوسف الحمادي، مكتبة مصر، د.ت.

٣٦. لسان العرب، ابن منظور (ت٧١١هـ)، إعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، د.ت.

٣٧. لطائف قرآنية، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٢م.

٣٨. اللغة: ج ڤندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٠ م.

٣٩. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٩.
٤٠. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤٠٢هـ.
٤١. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الاثير (ت ٦٣٧هـ) تحقيق وتعليق: د. احمد الحوفي ود. بدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي، ط٢، ١٩٨٣م.
٤٢. المشاهد في القرآن الكريم/دراسة تحليلية وصفية، د. حامد صادق قنيبي، الزرقاء، ط١، ١٩٨٤م.
٤٣. معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٠م.
٤٤. مفهوم المعنى عند الجاحظ، د. ماهر مهدي هلال، مجلة آداب المستنصرية، ع١٥، مطابع جامعة الموصل، ١٩٨٧م.
٤٥. من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، القاهرة، ط٥، ١٩٧٥م.
٤٦. نظرية النحو العربي، د. احمد مكي الأنصاري، توزيع دار الفيلة للثقافة الإسلامية، ط١، د.ت.

المصادر الأجنبية:

1) The Meaning of the Glorious Koran An explanatory translation by Mohammed Marmaduke pickthall, New American library, New York and Scarborough, Ontario, The New English library limited London.
2) H. Sweet, The new English Grammar.
3) Noam Chomsky m Syntax Structure, p. 121.
4) Wright, w. A Grammar of the Arabic Language, vol: 2 , p. 25.